

5

سلسلة  
قصص  
للأطفال

# صَوْرٌ مِنْ حَيَاةِ الصَّحَابَةِ

تأليف  
الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا



البراء بن مالك الأنصاري رضي الله عنه







قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "لا تُولوا البراء جيشاً من جيوش المسلمين مخافة أن يهلك جنده بإقدامه".

## البراء بن مالك الأنصاري



كَانَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ<sup>(١)</sup> ضَيْلَ الْجِسْمِ مَعْرُوقَ الْعِظَمِ<sup>(٢)</sup> تَقْتَحِمُهُ<sup>(٣)</sup> عَيْنُ رَأْيِهِ ثُمَّ تَزَوَّرُ<sup>(٤)</sup> عَنْهُ اِزْوَرَارًا .

ولكنه مع ذلك ، قَتَلَ مِائَةً مِنَ الْمُشْرِكِينَ مُبَارَزَةً وَحْدَهُ ، عَدَا عَنْ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ فِي غِمَارِ الْمَعَارِكِ مَعَ الْمُحَارِبِينَ .

إِنَّهُ الْكَمِيُّ الْبَاسِلُ الْمِقْدَامُ الَّذِي كَتَبَ الْفَارُوقُ بِشَأْنِهِ إِلَى عُمَالِهِ فِي الْآفَاقِ . أَلَّا يُؤْلُوهُ عَلَى جَيْشٍ مِنْ جِيوشِ الْمُسْلِمِينَ ، خَوْفًا مِنْ أَنْ يُهْلِكَهُمْ بِإِقْدَامِهِ .

إِنَّهُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ ، أَخُو أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ .

وَلَوْ رُحْتُ أَسْتَقْصِي لَكَ أَخْبَارَ بطولاتِ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ ، لَطَالَ الْكَلَامُ وَضَاقَ الْمَقَامُ ؛ لِذَا رَأَيْتُ أَنْ أَعْرِضَ لَكَ قِصَّةً وَاحِدَةً مِنْ قِصَصِ بطولاتِهِ ، وَهِيَ تُنْبِئُكَ<sup>(٥)</sup> عَمَّا عَدَاها .

\*\*\*

(٤) تَزَوَّرَ عَنْهُ : تَمِيلُ عَنْهُ .

(٥) تُنْبِئُكَ : تُخْبِرُكَ .

(١) أَشْعَثَ أَغْبَرَ : مُتَلَبِّدُ الشَّعْرِ أَغْبَرَ الْجِسْمِ .

(٢) مَعْرُوقَ الْعِظَمِ : مَهْزُولُ الْجَسَدِ قَلِيلُ اللَّحْمِ .

(٣) تَقْتَحِمُهُ : تَنْظُرُ إِلَيْهِ بِصُعُوبَةٍ .



تبدأ هذه القصة منذ الساعات الأولى لوفاة النبي الكريم وألحقه بالرقيق الأعلى ، حيث طفقت قبائل العرب تخرج من دين الله أفواجا ، كما دخلت في هذا الدين أفواجا ، حتى لم يبق على الإسلام إلا أهل مكة والمدينة والطائف وجماعات متفرقة هنا وهناك ممن ثبتت الله قلوبهم على الإيمان .

\*\*\*

صمد الصديق، رضوان الله عليه، لهذه الفتنة المدمرة العمياء ، صمود الجبال الراسيات ، وجهز من المهاجرين والأنصار أحد عشر جيشاً ، وعقد لقيادة هذه الجيوش أحد عشر لواءً ، ودفع بهم في أرجاء جزيرة العرب ليعيدوا المرتدين إلى سبيل الهدى والحق ، وليحملوا المنحرفين على الجادة<sup>(١)</sup> بحد السيف .

وكان أقوى المرتدين بأساً ، وأكثرهم عدداً ، بنو حنيفة أصحاب مسيلمة الكذاب .

فقد اجتمع لمسيلمة من قومه وحلفائهم أربعون ألفاً من أشد المحاربين .

وكان أكثر هؤلاء قد اتبعوه عصبية<sup>(٢)</sup> له ، لا إيماناً به ، فقد كان بعضهم يقول :

أشهد أن مسيلمة كذاب ، ومحمداً صادق . . . لكن كذاب ربيعة<sup>(٣)</sup> أحب إلينا من صادق مضر<sup>(٤)</sup> .

\*\*\*

(١) الجادة : الصراط المستقيم الذي هو الإسلام .

(٢) العصبية : شدة ارتباط المرء بعصبته أو جماعته ونصرتها في الحق والباطل .

(٣) كذاب ربيعة : مسيلمة .

(٤) صادق مضر : محمد ﷺ .



هَزَمَ مُسَيْلِمَةُ أَوَّلَ جَيْشٍ خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْ جِيُوشِ الْمُسْلِمِينَ بِقِيَادَةِ عِكْرِمَةَ بْنِ أَبِي جَهْلٍ وَرَدَّهُ عَلَى أَعْقَابِهِ .

فَأَرْسَلَ لَهُ الصَّدِيقُ جَيْشًا ثَانِيًا بِقِيَادَةِ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، حَشَدَ فِيهِ وُجُوهَ الصَّحَابَةِ مِنَ الْأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ ، وَكَانَ فِي طَلِيعَةِ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ وَنَفَرٌ مِنْ كُفَاةِ الْمُسْلِمِينَ .

\*\*\*

الْتَقَى الْجَيْشَانِ عَلَى أَرْضِ الْيَمَامَةِ فِي نَجْدٍ ، فَمَا هُوَ إِلَّا قَلِيلٌ ، حَتَّى رَجَحَتْ كَفَّةُ مُسَيْلِمَةَ وَأَصْحَابِهِ ، وَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ تَحْتَ أَقْدَامِ جُنُودِ الْمُسْلِمِينَ ، وَطَفِقُوا يَتَرَاَجَعُونَ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ ، حَتَّى اقْتَحَمَ أَصْحَابُ مُسَيْلِمَةَ فُسْطَاطًا<sup>(١)</sup> خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ ، وَاقْتَلَعُوهُ مِنْ أُصُولِهِ ، وَكَادُوا يَقْتُلُونَ زَوْجَتَهُ لَوْلَا أَنْ أَجَارَهَا وَاحِدٌ مِنْهُمْ .

عِنْدَ ذَلِكَ شَعَرَ الْمُسْلِمُونَ بِالْخَطَرِ الدَّاهِمِ<sup>(٢)</sup> ، وَأَدْرَكُوا أَنَّهُمْ إِنْ يَهْزَمُوا أَمَامَ مُسَيْلِمَةَ فَلَنْ يَقُومَ لِلْإِسْلَامِ قَائِمَةٌ بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَلَنْ يُعْبَدَ اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ .

وَهَبَّ خَالِدٌ إِلَى جَيْشِهِ ، فَأَعَادَ تَنْظِيمَهُ ، حَيْثُ مَيَّزَ الْمُهَاجِرِينَ عَنِ الْأَنْصَارِ ، وَمَيَّزَ أَبْنَاءَ الْبَوَادِي عَنْ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ .

وَجَمَعَ أَبْنَاءَ كُلِّ أَبِي تَحْتَ رَايَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهُمْ ، لِيُعْرِفَ بَلَاءُ كُلِّ فَرِيقٍ فِي الْمَعْرَكَةِ ، وَلِيُعْلَمَ مِنْ أَيْنَ يُؤْتَى الْمُسْلِمُونَ<sup>(٣)</sup> .

\*\*\*

وَدَارَتْ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ رَحَى مَعْرَكَةٍ ضَرُوسٍ<sup>(٤)</sup> لَمْ تَعْرِفْ حُرُوبُ الْمُسْلِمِينَ

(٣) يُؤْتَى الْمُسْلِمُونَ : مِنْ أَيْنَ يَصَابُونَ .

(٤) مَعْرَكَةُ ضَرُوسٍ : مَعْرَكَةٌ شَدِيدَةٌ مَهْلِكَةٌ .

(١) الْفُسْطَاطُ : الْخِيْمَةُ الْكُبْرَى .

(٢) الْخَطَرُ الدَّاهِمُ : الْخَطَرُ الشَّدِيدُ الْمَفَاجَأُ .



لها نظيراً من قَبْلُ ، وثَبَتَ قومُ مُسَيْلَمَةَ في سَاحَاتِ الوَغَى ثَبَاتَ الجبالِ الرَّاسِيَاتِ ولم يَأْبَهُوا<sup>(١)</sup> لِكَثْرَةِ ما أَصَابَهُم من القَتْلِ . وَأَبْدَى المسلمون من خَوَارِقِ البُطُولَاتِ ما لو جُمِعَ لَكَانَ مَلْحَمَةً<sup>(٢)</sup> من رَوَائِعِ المَلاحِمِ .

فهذا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ<sup>(٣)</sup> حَامِلُ لَوَاءِ الْأَنْصَارِ يَتَحَنَّطُ وَيَتَكَفَّنُ وَيَحْفِرُ لِنَفْسِهِ حُفْرَةً فِي الْأَرْضِ ، فَيَنْزِلُ فِيهَا إِلَى نِصْفِ سَاعِيهِ ، وَيَبْقَى ثَابِتاً فِي مَوْقِفِهِ ، يَجَالِدُ عَنْ رَايَةِ قَوْمِهِ حَتَّى خَرَّ صَرِيحاً شَهِيداً .

وهذا زَيْدُ بْنُ الْخَطَّابِ أَخُو عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ينادي في المسلمين :

أَيُّهَا النَّاسُ عَضُّوا عَلَى أَضْرَاسِكُمْ ، وَاضْرِبُوا فِي عَدُوِّكُمْ وَامْضُوا قُدُماً . . .  
أَيُّهَا النَّاسُ ، وَاللَّهِ لَا أَتَكَلَّمُ بَعْدَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ أَبَداً حَتَّى يُهْزَمَ مُسَيْلَمَةُ أَوْ أَلْقَى اللَّهُ ، فَأَذِلِّي إِلَيْهِ بِحُجَّتِي . . .

ثُمَّ كَرَّرَ عَلَى الْقَوْمِ فَمَا زَالَ يِقَاتِلُ حَتَّى قُتِلَ .

وهذا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ يَحْمِلُ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ فَيَخْشَى عَلَيْهِ قَوْمُهُ أَنْ يَضْعُفَ أَوْ يَتَزَعَّزَعَ ، فَقَالُوا لَهُ :

إِنَّا لَنَخْشَى أَنْ نُؤْتَى مِنْ قِبَلِكَ ، فَقَالَ :

إِنْ أُتِيتُمْ مِنْ قِبَلِي فَبِئْسَ حَامِلُ الْقُرْآنِ أَكُونُ . . .

ثُمَّ كَرَّرَ عَلَى أَعْدَاءِ اللَّهِ كَرَّةً بَاسِلَةً ، حَتَّى أُصِيبَ .

وَلَكِنْ بَطُولَاتِ هَؤُلَاءِ جَمِيعاً تَتَضَاعَلُ أَمَامَ بَطُولَةِ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ

عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ .

(١) لم يَأْبَهُوا : لم يهتموا ولم يلتفتوا .

(٢) الملحمة : عمل شعري كبير ينظم في وصف الحروب وجيوشها وأبطالها .

(٣) انظر سيرته ص ٤٥٦ .

ذلك أَنَّ خَالِدًا حِينَ رَأَى وَطِيسَ<sup>(١)</sup> الْمَعْرَكَةِ يَحْمِي وَيَشْتَدُّ ، التفتَ إِلَى  
الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ وَقَالَ : إِلَيْهِمْ يَا فَتَى الْأَنْصَارِ . . .  
فالتفتَ البراءُ إِلَى قَوْمِهِ وَقَالَ :

يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَا يُفَكِّرَنَّ أَحَدُكُمْ بِالرَّجُوعِ إِلَى الْمَدِينَةِ ؛ فَلَا مَدِينَةَ  
لَكُمْ بَعْدَ الْيَوْمِ . . .  
وإنَّما هو الله وحده . . . ثم الجنة . . .

ثُمَّ حَمَلَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ وَحَمَلُوا مَعَهُ ، وَأَنْبَرَى يَشُقُّ الصُّفُوفَ ، وَيُعْمِلُ  
السِّيفَ فِي رِقَابِ أَعْدَاءِ اللَّهِ حَتَّى زُلْزِلَتْ أَقْدَامُ مُسَيْلَمَةَ وَأَصْحَابِهِ ، فَلَجَأُوا إِلَى  
الْحَدِيقَةِ الَّتِي عُرِفَتْ فِي التَّارِيخِ بَعْدَ ذَلِكَ بِاسْمِ حَدِيقَةِ الْمَوْتِ ؛ لِكَثْرَةِ مَنْ قُتِلَ  
فِيهَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ .

\*\*\*

كَانَتْ حَدِيقَةُ الْمَوْتِ هَذِهِ رَحْبَةً الْأَرْجَاءِ سَامِقَةً<sup>(٢)</sup> الْجُدْرَانِ ، فَأَغْلَقَ مُسَيْلَمَةُ  
وَالْآلَافُ الْمُؤَلَّفَةُ مِنْ جُنْدِهِ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَهَا ، وَتَحَصَّنُوا بِعَالِي جُدْرَانِهَا ، وَجَعَلُوا  
يُمِطِرُونَ الْمُسْلِمِينَ بِنِبَالِهِمْ مِنْ دَاخِلِهَا فَتَسَاقُطُ عَلَيْهِمْ تَسَاقُطُ الْمَطَرِ .

عند ذلك تقدَّم مِغْوَارُ الْمُسْلِمِينَ الْبَاسِلُ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ وَقَالَ :

يَا قَوْمَ ، ضَعُونِي عَلَى ثُرْسٍ ، وَارْفَعُوا الثُّرْسَ عَلَى الرِّمَاحِ ، ثُمَّ اقْذِفُونِي  
إِلَى الْحَدِيقَةِ قَرِيبًا مِنْ بَابِهَا ، فَإِنَّمَا أَنَا أُسْتَشْهَدُ ، وَإِنَّمَا أَنَا أَفْتَحُ لَكُمْ الْبَابَ .

\*\*\*

وَفِي لَمَحِ الْبَصَرِ جَلَسَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ عَلَى ثُرْسٍ ، فَقَدْ كَانَ ضَعِيلَ الْجِسْمِ  
نَحِيلَهُ ، وَرَفَعَتْهُ عَشْرَاتُ الرِّمَاحِ فَأَلْقَتْهُ فِي حَدِيقَةِ الْمَوْتِ بَيْنَ الْآلَافِ الْمُؤَلَّفَةِ مِنْ

(١) الوطيس : الثَّوْر ، ويقال حمي الوطيس أي اتقدت نيران الحرب واشتدت .

(٢) سامقة الجدران : عالية الجدران .



جُنْدٍ مُسَيَّلَةٍ ، فنزلَ عليهم نزولُ الصَّاعِقَةِ ، وما زال يُجَالِدُهُمْ أمامَ بابِ  
الحديقةِ ، ويُعْمَلُ في رِقَابِهِم السَّيْفَ حَتَّى قَتَلَ عَشْرَةً مِنْهُمْ وَفَتَحَ الْبَابَ ، وَبِهِ  
بِضْعُ<sup>(١)</sup> وَثَمَانُونَ جِرَاحَةً مِنْ بَيْنِ رَمِيَّةٍ بِهِمْ أَوْ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ . . . فتدفَّقَ  
المسلمونَ على حديقةِ الموتِ ، من حِيطَانِهَا وَأَبْوَابِهَا وَأَعْمَلُوا السُّيُوفَ فِي رِقَابِ  
الْمُرْتَدِّينَ اللَّائِذِينَ<sup>(٢)</sup> بِجُذُرَانِهَا ، حَتَّى قَتَلُوا مِنْهُمْ قَرِيباً مِنْ عِشْرِينَ أَلْفاً وَوَصَلُوا  
إِلَى مُسَيَّلَةٍ فَأَرَدَوْهُ صَرِيعاً .

\*\*\*

حُمِلَ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ إِلَى رَحْلِهِ لِيُدَاوَى فِيهِ ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ  
شَهْراً يَعالِجُهُ مِنْ جِرَاحِهِ حَتَّى أَذِنَ اللَّهُ لَهُ بِالشِّفَاءِ ، وَكَتَبَ لِجُنْدِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى  
يَدَيْهِ النُّصْرَ .

\*\*\*

ظَلَّ الْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيُّ يَتَوَقَّعُ إِلَى الشَّهَادَةِ الَّتِي فَاتَتْهُ يَوْمَ حَدِيقَةِ  
الْمَوْتِ . . .

وَطَفِقَ يَخُوضُ الْمَعَارِكَ وَاحِدَةً بَعْدَ أُخْرَى شَوْقاً إِلَى تَحْقِيقِ أَمْنِيَّتِهِ الْكُبْرَى  
وَحَنِيناً إِلَى اللَّحَاقِ بِنَبِيِّهِ الْكَرِيمِ ، حَتَّى كَانَ يَوْمُ فَتْحِ « تُسْتَر »<sup>(٣)</sup> مِنْ بِلَادِ  
فَارِسٍ ، فَقَدْ تَحَصَّنَ الْفُرسُ فِي إِحْدَى الْقِلَاعِ الْمُمَرَّدَةِ<sup>(٤)</sup> ، فَحَاصَرَهُمُ  
الْمُسْلِمُونَ وَأَحَاطُوا بِهِمْ إِحَاطَةً السُّوَارِ بِالْمِعْصَمِ ، فَلَمَّا طَالَ الْحِصَارُ وَاشْتَدَّ  
الْبَلَاءُ عَلَى الْفُرسِ ، جَعَلُوا يُدْثِلُونَ مِنْ فَوْقِ أَسْوَارِ الْقَلْعَةِ سَلَاسِلَ مِنْ حَدِيدٍ ،  
عُلِّقَتْ بِهَا كَلَالِيبُ مِنْ فُولاذٍ حُمِيتْ بِالنَّارِ حَتَّى غَدَتْ أَشَدَّ تَوَهُجاً مِنَ الْجَمْرِ

(١) الْبِضْعُ : مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَى التَّسْعَةِ .

(٢) اللَّائِذِينَ : الْمُحْتَمِينَ .

(٣) تُسْتَر : اسْمُ مَدِينَةٍ فِي بِلَادِ فَارِسٍ .

(٤) الْقِلَاعُ الْمُمَرَّدَةُ : الْمَلَسَاءُ الْمُرْتَفَعَةُ



فكانت تَنْشَبُ<sup>(١)</sup> في أجساد المسلمين وتَعْلَقُ بها ، فَيَرْفَعُونَهُمْ إِلَيْهِمْ إِمَّا مَوْتَى وَإِمَّا على وشك الموت .

فَعَلِقَ كَلَّابٌ مِنْهَا بِأَنْسِ بْنِ مَالِكٍ أَخِي الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ ، فَمَا إِنْ رَأَاهُ الْبَرَاءُ حَتَّى وَثَبَ عَلَى جِدَارِ الْحِصْنِ ، وَأَمْسَكَ بِالسُّلْسِلَةِ الَّتِي تَحْمِلُ أَخَاهُ ، وَجَعَلَ يُعَالِجُ الْكَلَّابَ لِيُخْرِجَهُ مِنْ جَسَدِهِ فَأَخَذَتْ يَدُهُ تَحْتَرِقُ وَتَدَخُنُ ، فَلَمْ يَأْبَهُ لَهَا حَتَّى أَنْقَذَ أَخَاهُ ، وَهَبَطَ إِلَى الْأَرْضِ بَعْدَ أَنْ غَدَّتْ يَدُهُ عِظَامًا لَيْسَ عَلَيْهَا لَحْمٌ .

وفي هذه المعركة دعا البراءُ بْنُ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ ؛ فَأَجَابَ اللَّهُ دَعَاءَهُ ، حَيْثُ خَرَّ صَرِيحاً شَهِيداً مُغْتَبِطاً بِلِقَاءِ اللَّهِ .

\*\*\*

نَضَرَ اللَّهُ وَجْهَ الْبَرَاءِ بْنِ مَالِكٍ فِي الْجَنَّةِ ، وَأَقَرَّ عَيْنَهُ بِصَحْبَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، وَرَضِيَ عَنْهُ وَأَرْضَاهُ(\*) .

(\*) للاستزادة من أخبار البراء بن مالك الأنصاري انظر :

- ١ - الإصابة الترجمة : ٦٢٠ .
  - ٢ - الاستيعاب بهامش الإصابة : ١٣٧/١ .
  - ٣ - الطبقات الكبرى : ٤٤١/٣ و ١٧/٧ ، ١٢١ .
  - ٤ - تاريخ الطبري : انظر الفهارس في العاشر .
  - ٥ - الكامل في التاريخ : انظر الفهارس .
  - ٦ - السيرة النبوية لابن هشام : انظر الفهارس .
  - ٧ - حياة الصحابة : انظر الفهارس في الرابع .
  - ٨ - قادة فتح فارس لشيت خطاب .
- (١) تنشب : تغرز وتعلق .



بيت المقدس

Baytalmaqdiss44@gmail.com